إعمال العقل في فهم النص

الإمام أبو حنيفة ومدرسته الفقهية أنموذجًا

الحمد لله رب العالمين القائل في كتابه الكريم **(كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ)** وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا محمد عبده ورسوله اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلي آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد :

فقد اهتم الإسلام بالعقل اهتماما بالغا ، وذلك لأن العقل مناط التكليف .كما أن حفظ العقل مقصد عظيم من مقاصد الشريعة الإسلامية ، وأحد الكليات الست التي اتفقت كافة الشرائع والأديان علي حفظها .

وقد أرشدنا ربنا عز وجل إلي استخدام نعمة العقل في التفكر والتأمل في ظواهر الكون للوقوف علي عظمته سبحانه وتعالي ووحدانيته ، حيث يقول تعالي { إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ }

كما أن المتتبع للبيان القرآني يلاحظ الحض علي التعقل والتفكر بصيغ متعددة . نحو قوله تعالي *(لعلكم تعقلون)* *(افلا تعقلون)* *(لقوم يعقلون)* *(لقوم يتفكرون)* (لقوم يفقهون)

والمتأمل بالشريعة الإسلامية يجد أنها قد حثت العلماء علي إعمال العقول بالاجتهاد لاستنباط الأحكام الشرعية من الأدلة التفصيلية .

بما ييسر للناس أمور حياتهم ولتصلح به أحوال معاشهم ومعادهم . مع الحفاظ علي ثوابت الشرع الشريف وعدم المساس بها بحيث يقول نبينا صلي الله عليه وسلم **(إِذَا حَكَمَ الحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ فأَصابَ فله أَجْرَان، وإِذا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ فأَخْطَأَ فله أَجْرٌ)**.

ومما لا شك فيه أن الإمام أبا حنيفة النعمان رحمه الله صاحب المذهب الحنفي المشهور كان رائد مدرسة إعمال العقل في فهم النصوص ،فقد رزقه الله تعالي عقلا واعيا فلم يكن مقلدا، ولم يقف عند ظاهر النص ، بل نظر الي مراميه ومقاصده، لذا أصبح الإمام رحمه الله رائد مدرسة العقل في التعامل مع النصوص حتي قال العلماء عنه (الناس عالة في الفقه علي أبي حنيفة) وقد راعي الإمام أبي حنيفة رحمه الله في مدرسته الفقهية الزمان والمكان وأحوال الناس وعاداتهم وطبائعهم فكان مما توسع فيه من الأدلة أدلة القياس والاستحسان ، والعرف معتمدا في ذلك علي حديث سيدنا معاذ رضي الله عنه حين قال له النبي صلي الله عليه وسلم لما بعثه الي اليمن : (بم تقضي؟) قال بكتاب الله تعالي قال (فإن لم تجد) قال بسنة رسول الله صلي الله عليه وسلم قال (فإن لم تجد) قال أجتهد في ذلك رأيي فقال صلي الله عليه وسلم (الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله صلي الله عليه وسلم) وغيره من الأحاديث الحاثة علي إعمال العقل في فهم النص في إطار المقاصد العامة للتشريع.

****

الحمد لله رب العلمين ، والصلاة والسلام علي خاتم الأنبياء والمرسلين ،سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم وعلي آله وصحبه أجمعين .

إن الأديان جاءت لسعادة الناس لا لشقائهم حيث يقول الحق سبحانه: (طه * مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى)، ويقول تعالي (وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ) ، ويقول سبحانه (يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ) وما خير نبينا صلي الله عليه وسلم بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثما فإن كان إثما كان أبعد الناس منه ولذلك فإنه لا غني عن إعمال العقل في فهم صحيح النص وفي تطبيقاته وفي إنزال الحكم الشرعي علي مناطه من الواقع العملي علي أننا نؤكد أنه ينبغي علي الفقيه أن يلم بأحوال ومستجدات عصره، وواقع الناس وعاداتهم وتقاليدهم؛ ليكون قادرا علي إنزال الفتوي علي مظانها، وظروف عصرها، لا علي مظان وأحوال عصور أخري مختلفة، فمن أفتي الناس دون النظر إلي واقع زمانهم ومكانهم وطبيعة حياتهم وعصرهم ،عرضهم للعنت والمشقة، في حين أن شريعتنا الغراء قائمة علي اليسر والسعة ورفع الحرج .

اللهم فقهنا في ديننا، واحفظ بلادنا وسائر بلاد العالمين